

فالحكماء يعبرون عنها بالعقل الهولاني، والعقل بالفعل، والعقل بالملكة، والعقل المستفاد، ومقام القلب، ومقام الروح، ومقام النفس. والعرفاء يسمونها بالمقامات، وهي: الطبع والصدر والقلب والروح والسر والخفي والأخفي. والطبيعيون يعرفونها بالأطوار، وهي تبدأ بالطفولة العاجزة، وتمر بالنضوج، والرقية، والحرية، واستكمال العقل (الاستكمال الروحاني والجسماني)، ثم تنتهي بالكمال. وهؤلاء وأولئك يتفقون في تقسيمها كذلك إلى سبعة منازل، وهو أشبه ما يكون بتقسيمنا اليوم إلى ليل ونهار، لأن الظلمة تفرقهما، والحال أن كل دقيقة وثانية وثالثة، فيها تغير وتبدل. وهكذا الإنسان ينتقل من طفولة عاجزة، إلى صبا وثاب، إلى كهولة وشيخوخة، وكلها هجرة إجبارية، لا تحكم له فيها ولا خيرة، بل هي سنة من سنن الله في عباده "و لن تجد لسنة الله تبديلا".

أما الهجرة المعنوية، فهي هجرة النفس من صفة إلى صفة، ومن خطلة إلى خطلة، ومن خلق إلى خلق، ومن درجة أدنى إلى درجات أعلي، ومن عادات ضارة إلى أخرى مفيدة، ومن تقاليد فاسدة، إلى غيرها صالحة، ومن تعصب للسخافات، إلى تعشق للتسامح، وتطلع للكمال. وهذه الهجرة المعنوية طبيعية بالنسبة لمن جعل الدين مرشده، واتخذ من تعاليمه دليله، وضرورية بالنسبة لأصحاب الدعوات والمجاهدين في سبيل الفكرة، الذين لا يهاجرون بأنفسهم فحسب، بل يهاجرون بالناس من السيئ إلى الحسن، ومن الحسن إلى الأحسن، ومن الأخلاق الذميمة إلى الكريمة، ومن مواطن السوء والذيلة إلى مواطن الخير والفضيلة، ويدفعون الناس إلى الكمال، وإلى ما فيه صلاح دنياهم وأخراهم.